Iğd Üni İfder / Igd Uni Jour Div Fac
Sayı / No: 25-26, Nisan/April-Ekim/October 2025
Araştırma Makalesi / Article: 43-56

أثر التصوف في حياة بديع الزمان سعيد النورسي

عدنان يوسف أوغلو[a] أفين يوسف أوغلو[b]

المخلص: إن التصوف غدا منهجا ومسلك لكثير من العلماء وخاصة من رأى في التصوف طريقا للتهذيب، فالمذاهب تراوحت بين الجمود والتقيد وفَقدَتْ كثير من المسالك روحانية الدين، وأصبح النص ودلالاته موطن الجدل بين الناس عامة والعلماء خاصة فكان من الضروري التوجّه لمنهج يخفف وطأة التقيد والجمود بين الناس والعلماء ويجمع بين الروحانية الدين وعقلانية النص والحقيقة، في الزمن الذي ظهرت أفكار الحركات الفكرية والسياسية كالشيوعية الشرقية المادية الغربية، والحروب والهيمنة الفكرية والعسكرية، وتشتت الناس في المعتقد والفكر ونظرت الناس إلى الأقوى أنه صاحب الحق، وقد تقدم الغرب فكريا وعسكريا في تلك الفترة، فما كان من الأستاذ سعيد النورسي إلا أن وقف في وجه تلك التيارات المناهضة للإسلام والمسلمين بفكره النير وحجته العلمية التي كانت تستند إلى قوت النص والعقل، وحجج خصومه بعقلية الحكيم وتواضع الصوفي المبتغى الحقيقة لا قهر الخصوم بل بهديهم للحق والعقل، وقد كرس علمه في الدعوة والإرشاد، فعجت كتبه بالنصائح والتوصيات لطلبته وإخوانه، فدعي إلى تهذيب النفس والروح وتطهيرها من أغلال المادية والدنيوية.

الكلمات المفتاحية: التصوف، سعيد النورسي، آراء، مظاهر، أثر.

[a] Iğdır Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Temel İslam Bilimleri Bölümü
adnanyusuf52@gmail.com
[b] Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi, SBE, Temel İslam Bilimleri Programı
avinyusuf52@gmail.com

The Influence of Sufism on the Life of Bediuzzaman Said Nursi

ADNAN YUSUFOĞLU AVİN YUSUFOĞLU

Geliş Tarihi: 11.04.2025 | Kabul Tarihi: 25.10.2025

Abstract: Sufism became a method and path for many scholars, especially those who viewed it as a path to refinement. Schools of thought oscillated between rigidity and strictness, and many paths lost their religious spirituality. Text and its connotations became a source of debate among people in general and scholars in particular. It was necessary, therefore, to adopt a method that would alleviate the burden of strictness and rigidity among people and scholars, combining the spirituality of religion with the rationality of text and truth. This came at a time when the ideas of intellectual and political movements such as Eastern and Western materialistic communism, wars, and intellectual and military hegemony were emerging. People were divided in their beliefs and thoughts, and people viewed the strongest as the rightful. The West had advanced intellectually and militarily during that period. Said Nursi stood up to these movements opposing Islam and Muslims with his enlightened thought and scholarly arguments, which were based on the strength of the text and reason. He challenged the arguments of his opponents with the mentality of a sage and the humility of a Sufi who sought the truth, not to subjugate opponents, but to guide them to truth and reason. He devoted his knowledge to preaching and guidance. His books were filled with advice and recommendations for his students and brothers. He called for the refinement of the soul and spirit, purifying them from the shackles of materialism and worldliness.

Keywords: Sufism, Said Nursi, views, manifestations, influence.

المقدمة

إذا كان الحديث عن أهل الإيمان بشكل عام يؤنس القلب والروح، ويطمئن به الفؤاد فكيف سكيون الحديث عن عالم رباني جمع في إمامته وعمله وإيمانه بين المعرفة الحقة والعمل الخالص والجهد الدؤوب، وترك وراءه زادًا طيبًا من حسن الأثر وطيب القول وجليل العمل، تزكو به النفوس وتشحذ به الهمم وتستنير به العقول، ربّ أجيالا على العقيدة السليمة، إنه الشيخ سعيد النورسي، وسلك منهج التصوف فزهد عن الدنيا والمناصب، واشتغل في تربية والعقيدة فجمع بين علوم شتى تستند على كتاب الله وسنة رسوله، وكلل جميع أقواله بالمسائل العقلية والنقلية، حيث جمع بين النص والعلم، فسار على خطاه تلامذته فكانوا خير خلف لخير سلف، ونقلوا لنا رسالة شيخهم بكل صدق وأمان، وما زالت هذه المدرسة تتنور بأفكار الشيخ التي صلحت لكل الأزمنة من ذاك الزمن إلى زمننا، حيث بقيت منارة تضيء الطريق لمن يأتي بعده.

ومن هذا المنطلق سأحاول في هذه المقالة أن أتناول سماحة الشيخ المربي سعيد النوري من حياته من المنشأ مرورا بحياته العلمية والدعوية ومجاهدته مع العلمانية ودعاتها، ووقوفا على مؤلفاته مختتما البحث الأول بوفاته وما قيل فيه وفي البحث الثاني اتناول أثر التصوف في شخصيته من حيث الفكر والعقيدة والمسلك، مع ذكر مظاهر التصوف عنده ورأيه في التصوف والصوفية ثم أختتم البحث بخاتمة وأهم النتائج.

حياة الأستاذ سعيد النورسي

ولد بديع الزمان سعيد النورسي في 12 آذار 1876م في قرية نُوْرْس التابعة لناحية إسباريت المرتبطة بقضاء خيزان من ولاية بتليس شرق الأناضول في تركيا، من أبوين صالحين والده الصوفي ميرزا ووالدته نورية بنت ملا طاهر كانا مضرب المثل في التقوى والورع والصلاح[1].

تميز بالفطنة والذكاء ودقة الملاحظة منذ طفولته[2]، حفظ في كتّاب قريته القرآن الكريم وتعلم السنة المطهرة والحديث الشريف، ثم نهل من العلم في المدارس القريبة من قريته، ورحل بعد ذلك لطلبه في معاهد العلم والمعرفة ومراكزه؛ ليرتوي من العلوم الدين، وفروع الشريعة، وعلوم اللغة والمنطق والكلام. رزقه الله حافظة قوية وقلبًا ذكيًا وذاكرة لاقطة استظهرت عشرات أمهات الكتب، ثم انتقل إلى مدينة "وان" ليدرس العلوم الطبيعية بجانب

[1] سعيد النورسي، كليات رسائل النور سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (إسطنبول: مطبعة سوزلر، 1998)، 36.

[2] أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، (إسطنبول: مطبعة سوزلر ، د.ت،ط)، 5.

العلوم الشرعية فاستوعب علوم الرياضات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا ليجمع بين العلم الشرعي والعلم التطبيقي التجريدي الطبيعي والفلسفة والتاريخ وغيرها[3]. حاضر الطلاب وناظر الشيوخ والعلماء من بنى عصره حتى شهدوا له بعلو قدره اعترافًا بفضله وإقرارًا بسبقه وغزارة علمه وسعة اطلاعه مما دفع بأحد العلماء إلى إطلاق لقب (بديع الزمان) عليه [4].

كانت نقطة التحول الفكري الأساسية في حياة الأستاذ سعيد النورسي بعدما كان يهتم بالعلوم لإستعابها و التنور بها عند سماعه أن وزير المستعمرات البريطاني يقول: "ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نحكمهم حكما حقيقيا، فلنسع إلى نزعه منهم"[5] فثارت ثائرته و عزم على جعل جميع العلوم المتنوعة المخزونة في ذهنه مدارج للوصول إلى إدراك معنى القرآن الكريم و إثبات حقائقه و تغيير الأمة من خلال القرآن حيث قال: " لأبرهنن للعالم أجمع، بأن القرآن العظيم شمس معنوية لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها"[6].

ومن بين جهوده وأهم أعماله التي قام بها من أجل تحقيق رغبته في النهوض بالأمة الإسلامية نظرا لتدني العلوم في المدارس الدينية قدم بديع الزمان للسلطان عبد الحميد الثانى أول مشروع لإنشاء جامعة إسلامية "مدرسة الزهراء"[7] على شاكلة الأزهر الشريف في مصر إيمانًا منه بأن "ضياء القلب هو العلوم الدينية وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية"[8].

كما سافر إلى الشام أواخر 1910م حيث اجتمع بقادتها وعلمائها وخطب بالمسجد الأموي بدمشق في أهل الشام خطبة شهيرة باللغة العربية بناء على إصرار العلماء هناك وهي التي تسمى بـ "الخطبة الشامية" وضح فيها برنامجه الإصلاحي السياسي والاجتماعي المتكامل ووصف فيها أمراض الأمة، ووسائل علاجها[9].

---

[3] عبد الرزاق الغول، بديع الزمان سعيد النورسي والتصوف، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، مطبعة نسل، إسطنبول، 2013، العدد 7، 138.

[4] سعيد النورسي، كليات رسائل النور سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، 64.

[5] سعيد النورسي، كليات رسائل النور سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، 65.

[6] سعيد النورسي، كليات رسائل النور سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، 66.

[7] أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، 23.

[8] سعيد النورسي، صيقل الإسلام، (إسطنبول: مطبعة سوزلر ، 2011)، 428.

[9] سعيد النورسي، كليات رسائل النور سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، 115.

شكل سعيد النورسي فرقة فدائية من طلابه المتطوعين قادها بنفسه دفاعًا عن بلاده للجهاد ضد الروس[10] عندما نشبت الحرب العالمية الأولى، وقام بتأليف تفسير " إشارات الإعجاز" على جبهة القتال بدون مصدر أو مرجع في غاية الإجاز و الإختصار لما اقتضت ظروف الحرب الشاقة[11]، وخلال الحرب سقط جريحا فاقتاده الروس أسيرًا في 2/ 3/ 1916 وأسر في قوصتورما بروسيا.وبعد ثلاث حوالي ثلاث سنوات قيض له الله الفكاك من الأسر ليعود فتكرمه بلاده وتمنحه وسام الحرب اعترافًا بشجاعته، كما عرضوا عليه الوظائف المرموقة فرفضها زهدًا في المناصب الحكومية، لكنه التحق بـ "دار الحكمة الإسلامية" باعتباره من كبار العلماء وانتشرت مؤلفاته في هذه الفترة خاصة تفسيره القرآني القيم "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"[12].

بعد إلغاء الخلافة الإسلامية بالكلية سنة 1924 حدثت فجوة كبيرة بين العلماء والدولة، وتصاعدت تيارات علمانية مناهضة للدين، وحدوث ردة عظيمة نشرت الإلحاد ودخلت البلاد في نفق مظلم. هاجر بديع الزمان سعيد النورسي إلى وان للانقطاع للعبادة لكن ذلك لم ينجيه من غضب العلمانيين حيث أن الشيخ بديع الزمان تابع منهجه ولن بوتيرة أقل خشية ملاحقته كباقي العلماء إلا أن الشيخ وقع في حرزه حيث أمرت السلطات بالقبض عليه ونقله إلى إستنبول ومن ثم إلى مدينة بوردور ثم إلى بارلا حيث بدأت المرحلة الثانية من حياة بديع الزمان مرحلة سعيد الجديد والتي كانت حياة الإغترابات والمنافي والسجون والمليئة بالاتهامات والملاحقات والمطاردات والمحاكمات، إلا أن الشيخ تابع منهجه المعتمد على القرآن الكريم ، حتى صحفيه القل بصاحب المنهج القرآني[13]، ولازمه في ذلك طلبته المخلصون، وكتبوا عنه مرافعاته ومرافعاته في المحاكم والسجون، فبقيت تلك الكتابات دليل على حقبة مظلمة في جبين الحرية والعدالة إلى يومنا هذا، وأنارت الدرب لكثير من شبان هذه الأمة، وأيقظتهم من غفوة الشعرات والمحدثات الكاذبة التي انقاد وراءها كثير من الناس بدون علم.

أمضى النورسي في "بارلا" المدرسة النورية الأولى التي نفي إليها سنة 1926م ثماني سنوات ونصف السنة، ألف فيها أكثر رسائل النور، وسيق الأستاذ النورسي وطلابه سنة

---

[10] أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، 43.

[11] سعيد النورسي، كليات رسائل النور سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، 124.

[12] عبد الرزاق الغول، بديع الزمان سعيد النورسي والتصوف، 138.

[13] حسن الأمراني وآخرون، النورسي أديبا، ندوة سعيد النورسي أديبا بكلية الآداب أبن مسيك دار البيضاء، (إسطنبول: دار سوز، 2003)، 11.

1935م إلى سجن أسكي شهر وبعد أن قضى في هذه المدرسة اليوسفية سنة محكوميته تم نفيه إلى قسطموني، وبعد فترة سيق مرة أخرى وهو الشيخ الهرم إلى سجن دنيزلي سنة 1943م، وبعدها إلى المنفى بأميرداغ ثم إلى السجن مرة أخرى في أفيون وبعدها إلى إسبارطة حيث قضى سنوات عمره الأخيرة.

بعد حياة مليئة بالمثابرة والكفاح والصبر الثبات توفي بديع الزمان النورسي 23 آذار 1960م[14] مخلفا ورائه مرجعا ضخما في التزكية والعقيدة السليمة، تحل وتكشف كثيرا من الغوامض في هذا العصر وما بعده، تحاكي مشاعر ووجدان الأمة، وترد على أكثر الغوامض التي أثارها العلمانيون الجدد والفلاسفة الملحدون، وتزيل شبهاتهم من أسسها، وتثبت حقائق الإيمان وأركانه بدلائل قاطعة، وبراهين ناصعة، جمعت في ثماني مجلدات ضخمة سماها "كليات رسائل النور"، تدعو إلى تطهير النفس والروح، وغرس الإيمان والإخلاص في النفوس.

أثر التصوف في شخصية الأستاذ سعيد النورسي

التصوف ضروري لتزكية النفس و تهذيبها من ظاهر الإثم كالغيبة والنميمة و ما إلى ذلك من آثام الجوارح وباطنه كالكبر و الحقد و الحسد والرياء و يكون ذلك بجعل كتاب الله تعالى و سنة رسوله إماما و مرجعا و كل مخالفة لذلك فهو انحراف مرفوض، فلابد إذن للعبد من تهذيب نفسه و استحضار مراقبة و مخافة الله تعالى في كل لحظة وسلوك طريق يوثق صلة العبد بربه، وهذا كان الهم الاول للمسلمين في صدر الإسلام حيث "كان التصوف في صدر الإسلام مسمى لا اسم له، ثم أصبح اسما لا مسمى له"بمعنى أنهم كانوا يهتمون بتزكية النفس الأمارة بالسوء، والسمو بها في مدارج التربية إلى مرتبة النفس الراضية و المطمئنة دون أن يبدعوا لذلك اسما[15]، لقد كان الأستاذ سعيد النورسي يوظف المنهجين الصوفي والكلامي ويستثمر محتوياتهما وستعمل في كتابه الكلمات صيغا كثيرة منها التمثيل بالإنسان والحيوان وغيرهما، مما جعلها من أحسن وسائل التبليغ وأنفعها في التذكير[16].

هذا هو معنى التصوف الذي عاشه الأستاذ النورسي بمعنى أن الأستاذ لم يكن يحتاج لمرشد وطريقة معينة لتهذيب نفسه بل اعتمد على كتاب المرشد الحكيم و من ارسله قدوة للعاليمن صلى الله عليه وسلم، بغية تعميق الحقيقة الإيمانية المتمثلة بالدرجة الأولى

---

[14] أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، 193.

[15] محمد سعيد رمضان البوطي، حلقة دراسية حول الإدراك الروحي بين التصوف والنورسي، الوهج الروحاني في حياة الأستاذ النورسي، (إسطنبول: شركة نسل للطباعة، 2006)، 5.

[16] عبد الهادي الدحاني وآخرون، النورسي أديبا، 62.

بتوحيد الله سبحانه و تزكية النفوس بحيث تسمو إلى معارج التقى والصفاء والإخلاص، والأستاذ النورسي" إن لم يسم منهجه تصوفاً فهو إنما فعل ذلك بغية توسيع دائرة منهجه الدعوي لتتسع أكثر مما كان صوفيو زمانه ينهجون؛ والذين ضيقوا دائرة دعوتهم ضمن نطاق التربية الوجدانية، والعلاقة بين الشيخ والمريد، في كثير من الأحيان .فدعوته إلى الله سبحانه اتسعت لتكون ترجماناً للمنهج القرآني الشامل للحقيقة التربوية التي يهدف إليها أهل التصوف، والمشتملة على الحقائق العقلية التي يخاطب بها الذين أعشت أعينهم الضلالات الفكرية السائدة آنذاك، ولسائر جوانب الإسلام التي تصحح حياة الفرد والمجتمع، وترسم العلاقة الصحيحة مع الحق ومع الخلق"[17].

بهذا المعنى للتصوف كان يعيش الأستاذ بديع الزمان، ومن هذا المعين الثري العذب كان يصوغ رسائله ويلقنها لتلاميذه، ولئن لم يقل بأنه منتهج لطريقة صوفية، فإن ذلك لا يغير من هذه الحقيقة شيئاً، فالمنهج الذي سار عليع هو منهج محمد يستند إلى الورع والزهد والوسطية واعتدال المنهج المنافي للتشدد والتشدق، القائم على الرفق والنصيحة، تميز الأستاذ النورسي بأنه يملك أن ينقل إلى الأخرين الذوقيات الوجدانية التي قلّ من يتذوّقها من دعاة اليوم من طيب طعم ما ذاقه من خلال ما افاض الله عليه من فتوحات الفهم والتفكر في القرآن الكريم، ومن بين العوامل التي ساهمت في تكوين شخصية الأستاذ النورسي أنه نشأ في بيئة أساسها العلم والتربية والورع، فقد كان ولداه يتصفان بالورع عن أكل ما يلامسه حرام أو شبهة، وقد انحدر الأستاذ النورسي من صلب عابدين زاهدين فعرف بزهد وورعه وغزارة علمه وذكائه المتميز، ومن ذلك أيضا تورعه في مطعمه ومشربه .وغضه لبصره وتنامي مشاعر الخشية من الله بين جوانبه، وهيمنة الرقابة الإلهية على قلبه، وتعاظم الخوف في نفسه مما هو مقبل عليه بعد الموت، وكلها مسميات قدسية لهذا الذي يسمى اليوم تصوفا[18].

كما كان التحول الذي جرى في شخصية الأستاذ بعد عودته من الأسر، والذي كان نتيجة عدة أمور، أشار إليها في سيرته الذاتية .أحدها شعوره ببوادر الشيخوخة ونذر دنو الأجل لتكون بداية ميلاد شخصية سعيد الجديد، والآخر تأثره بالشيخ الرباني عبد القادر الجيلاني من خلال كتابه (فتوح الغيب) إذ يقول الأستاذ رحمه الله تعالى وأصبح الشيخ

---

[17] محمد توفيق رمضان، التصوف وأثره في شخصية سعيد النورسي وكتاباته، مجلة التسامح، 2006 العدد 15، 3.

[18] محمد سعيد رمضان البوطي، حلقة دراسية حول الإدراك الروحي بين التصوف والنورسي، الوهج الروحاني في حياة الأستاذ النورسي، 7.

الجيلاني رضي الله عنه أستاذاً لي وطبيباً ومرشداً بكتابه" فتوح الغيب"، و صار الإمام الرباني أحمد السرهندي الفاروقي رضي الله عنه كذلك بمثابة أستاذٍ أنيسٍ ورؤوفٍ شفيقٍ بكتابه (المكتوبات) فأصبحت راضياً كلياً وممتناً من دخولي المشيب، ومن عزوفي عن مظاهرالحضارة البراقة ومتعها الزائفة، ومن أنسلالي من الحياة الإجتماعية و انسحابي منها ، فشكرت الله على ذلك كثيرا[19].

والعامل المهم أيضا الذي ساهم في تكوين شخصيته المتميزة بتلك النفحة الروحانية، التي قد تسمى تصوفا هو أوراده وأذكاره التي كان حريصاً ودؤوباً عليها، وقيامه الليل، وكثرة تلاوته القرآن الكريم والذي اعتبره "شيخه الأكبر والأعظم والذى يقصر عن مداه كل شيوخ الأرض"[20]، والخلوة بنفسه والتفكر العميق في الكتاب الكون الفسيح حيث تحولت العزلة والوحشة والحزن الذي شعر به في منفاه إلى نبراس يكتشف به طريق الإيمان بالله حيث جاء في اللمعات " ومن خلال هذا الحزن الذي يمازجه الحزن، بدأت أبحث عن نور، وعن قبس أمل، وعن باب رجاء، وسرعان ما جاء " الإيمان بالله " لنجدتي ولشد أزري، ومنحني أنسا عظيما بحيث لو تضاعفت آلامي ووحشتي أضعافا مضاعفة لكان ذلك الأنس كافيا لإزالتها "[21].

وهكذا كانت حياة الأستاذ النورسي وزهده في الدنيا وفي مناصبها وبهرجها حتى إنه ليعيش في منفاه بالجبل شهورًا على كسرات من الخبز اليابس والماء، لأنه أدرك أن الانس الكامل والتسلية الخالصة هي بشغل القلب بالذكر والتفكر، ففي الوديان وبين شعاب الجبال عاش الشيخ تجربته مردداً: الله الله، يا باقي، يا باقي، وغير ذلك من الذكر فيحس أنسًا ومودة وتزول الوحشة مما حوله ويذوق معنى الأنس في هذه الحياة الإيمانية ويلمس سعادة الحياة فيزداد شكره لربه.

إذن فالحقيقة تهتف بنا أن نقرر أن الشيخ كان سبيله في ذلك التأثير الإيجابي الذي يأخذ ويدع ويفسر وينقد. يأخذ من التصوف حقيقته الروحية التي تنبع من الكتاب والسنة، وتهدف إلى ترسيخ الإيمان والتمسك بالهدى النبوي ويدع الاهتمام بشكله الظاهري الذي يصرف المؤمنين عن قضايا العصر، والمقولات التي تستند في صدورها على الأذواق

---

[19] بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، 160.

[20] بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: شركة سوزلر، 1999)، 248.

[21] بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (إسطنبول: شركة النسل للطباعة، 1993)، 349.

والمواجيد الذاتية لا الحقائق الكلية المقررة، وابتعد عن التصوف الذي ولج ميدانه أصحاب النظرات الفلسفية والشطحات الفكرية.

مظاهر التصوف عند الأستاذ النورسي

إن تصرفات الأستاذ سعيد النورسي كانت تكشف منهجه فالتواضع الذي كان يتسم به الأستاذ، رغم ما كان عليه من غزارة علم وكثرة أتباع كانت كفيلة بأن يبان لكل ذي لب منهج الأستاذ ومسلكه، فالتواضع هي الصفة الغالبة على المتصوفة بالإضافة إلى لين الجانب وحسن الخلق مع الناس عامة ومع الإخوان خاصة، وقد ذكر أكثر علماء التصوف هذه الصفة في الصوفية حتى أن السهروردي عدها من أهم الصفات التي تميز الصوفي عن غيره، وهو أولى الناس بالتخلق بهذه الصفة[22].

قلة الطعام: كان الأستاذ معتل الصحة دائما، وكان قليل الإقبال على الطعام، بل يمكن القول بأنه قضى عمره كله وهو نصف شبعان ونصف جائع، إذ كان يقضي يومه الكامل بإناء صغير من الحساء مع كسرات من الخبز، وقضى حياته كلها على ما ادخره سابقا من الليرات الذهبية وعلى الاقتصاد الكامل والبركة الربانية[23] ، وهذه البركة الربانية تكلم عنها النورسي في اللمعة التاسعة عشرة قائلا: " ومن الجدير بالملاحظة أن قسما من أولئك الذين عرضوا عليّ زكاتهم قد غلبهم الدين بعد سنتين، لعدم التزامهم بالاقتصاد، إلا أن تلك النقود الضئيلة قد كفتني – ولله الحمد – ببركة الاقتصاد إلى ما بعد سبع سنوات، فلم ترق مني ماء الوجه، ولم تدفعني لعرض حاجتي إلى الناس، ولم تفسد علي ما اتخذته دستورا لحياتي وهو " الاستغناء عن الناس "[24]

فصفة التقليل من الطعام هي صفة الصوفية أهل الزهد، والتفرغ للعبادة والدعوة كان مسلكهم وما عرف عنهم بين الناس في الأمطار، فليس من صفات الصوفية التشهير بنفسه أنه من هذه الفيئة بل حالهم يدل عليهم وسلوهم يخبر عنهم، فلا يخفى أن الدولة العثمانية وخلفاء بني العثمان كانوا متصوفة وكذلك كانت صفة الغالبة على المناطق شرقي الأناضول، حيث أن الصفة الغالبة عليهم أنهم أهل التصوف والزهد، وهذا ما كان يدفعهم للرضى بما في يديهم من مال قليل، ولا يخفى ما يودع في تلك الدريهمات القليلة من بركة بسبب رضاهم وقناعتهم بربهم.

---

[22] شهاب الدين أبي حفصة عمر بن محمد السهروردي، عوارف المعارف، تح نجاح عوض صيام، (القاهرة: دار المقطم للنشر والتوزيع 2009)، 251-273.

[23] بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، 68.

[24] بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، 215.

وفي تبتل النورسي دعاءه وابتهالاته نجد تطلعه إلى مقولات وعبارات الصوفية وترديدها في مناجاته إلى جعلها تدور حول التسبيح والتحميد والمناجاة والاستغفار والصلاة والتسليم. وهو في هذا التطلع قد ينسج على منوال تلك المقولات، مثل قوله في الصلاة والتسليم. على رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم صل على الغوث الأكبر في كل العصور، والقطب الأعظم في كل الدهور، سيدنا محمد الذي تظاهرت حشمة ولايته ومقام محبوبيته في معراجه، واندرج كل الولايات في ظل معراجه، وعلى آله وصحبه أجمعين"[25].

وكلمات التي كان يستعملها الأستاذ النورسي في صلواته ما كان يستعملها إلا الصوفية في ذلك الوقت فكلمة الغوث ما كان يسيقها إلا الصوفي الزاهد، وكذلك كلمة القطب الأعظم ما كان يخاطب بها إلا الصوفي المتنسك، ومن هذه الصيغ الكثير والتي تدل على مسلكه ومنهجه، ولا يخفى من وقف على رسائل النور التي تعرف في أيامنا برسائل الصوفية ما فيها من الأدعية التي كانت لا تتردد إلا من صوفي زاهد، تجرد من الماديات والتعلق بالدنيا ومناصبها وزغرفها، مثل قوله: "إلهى الذنوب أخرستني، وكثرة المعاصي أخجلتني، وشدة الغفلة أخفتت صوتي، فأدق باب رحمتك وأنادى في باب مغفرتك بصوت سيدي وسندي الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره، ونداءه المقبول المأنوس عند البواب بـ: يا من وسعت رحمته كل شيء، ويا من بيده ملكوت كل شيء، يا من لا يضره شيء، ولا ينفعه شيء، ولا يغلبه شيء، ولا يعزب عنه شيء، ولا يؤوده شيء، ولا يستعين بشيء، ولا يشغله شيء، ولا يشبهه شيء ولا يعجزه شيء، اغفر لي كل شيء، حتى لا تسألني عن شيء، إنك على كل شيء قدير[26]"، فهذه المناجاة لا تخرج إلا من صوفي. حيث يظهر من تبتله لله

رأي الأستاذ النورسي في التصوف

وقد يقول قائل: إن الشيخ صرح بطبيعته الدينية بقوله عن نفسه إنه ليس شيخًا صوفيًا، وإنما هو عالم ديني. إنني لست بشيخ طريقة، فالوقت الآن ليس وقت طرق صوفية بل وقت إنقاذ الإيمان[27] وذهب في رسائله إلى أن هذا العصر ليس بعصر تصوف وطريقة إنما هو عصر إنقاذ الإيمان، حيث قال: لقد سألتم: هل أنا ممن يشتغل بالطرق الصوفية؟ وإنني أقول لكم: إن عصرنا هذا هو عصر حفظ الإيمان لا حفظ الطريقة. إن كثيرين يدخلون الجنة بغير

---

[25] بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، 4.

[26] بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (إسطنبول: شركة سوزلر للطباعة، 1999)، 325.

[27] بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، 73.

الانتماء إلى طريقة صوفية، ولكن لا يدخل أحد الجنة بغير إيمان "[28] وقرر أن رسائل النور تنقذ الإيمان والطريقة الصوفية ترفع درجات الولاية، وإنقاذ مؤمن واحد أفضل من ترقية عشرة مؤمنين إلى درجات الولاية[29].

إن الرد على ما جاء يأتي من عدة نقاط أهمها:

أولها: هذا الكلام لا ينافي انتسابه طرق الصوفية خصوصا أن الوقت الذي كان فيه إنهيار لدولة عظمى في تاريخ الإسلام ألا وهي السلطنة العثمانية، وكانت هذه السلطنة تناصر الدعوة الصوفية، وعند قدون العلمانيين كانوا يعتبرون التصوف تخلف وانحطاط قاصدين بذلك الدين ذاته ولكن كانوا في بادئ الأمر يتسترون تحت شعارات حداثية فضفاضة في باطنها عداء للدين وأهله، فما كان من العلماء الحكماء من أمثال الأستاذ سعيد النورسي إلا أن ينظر إلى ما هو أهم لأنه أدرك حقيقة تلك التيارات وما تصبوا إليه من دعاوي وغايات وخاصة أن القوة العسكرية قد أصبحت في أيديهم، فكان من الأجدر التوجه إلى حفظ الإيمان والدعوة إليه، وكان الأستاذ حريصًا على ألا يشغل تلاميذه بذاته كمرشد، ويسعى إلى أن يتفاعلوا مع آراءه ودعواته، تحقيقًا لرغبته في أن يراهم قوة فاعلة متحركة بركب الإيمان في رسوخ وثبات.

ثانيهما: إدراك النورسي لطبيعة المرحلة التي تمر بها الأمة وسعى تيارات التغريب إلى العصف بمقوماتها الروحية، وذلك يتطلب البحث عن البذرة قبل الثمرة والمؤثر قبل الأثر.

وثالثها: أن النورسي لا يهدف إلى محاربة الصوفية ونبذ طريقتهم، وإنما الكشف عن طبيعة منهجه ومنهج القوم، والإخبار عن همته في التوجه إلى القرآن الكريم لا إلى آراء الشيوخ الذين أدوا دورهم في عصورهم، والإنابة عن رؤيته أن توحيد القبلة نحوه أشد وطأة وأقوم قيلا[30]. ويستدل النورسي على ما ذهب إليه بما وجده عند الإمام الرباني رائد الطريقة النقشبندية في قوله "إن السلوك في الطريقة النقشبندية يسير على جناحين، أي الاعتقاد الصحيح بالحقائق الإيمانية، والعمل التام بالفرائض الدينية، فإذا ما حدث خلل أو قصور – أي من هذين الجناحين– يتعذر السير في ذلك الطريق[31]".

---

[28] بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، 83.

[29] أحمد محمد علي حنطور، نظرات في الأدب الصوفي عند النورسي، مجلة النور للدراسات الاسلامية والفكرية، 2013، العدد 7، 118.

[30] أحمد محمد علي حنطور، نظرات في الأدب الصوفي عند النورسي، 119.

[31] بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، 94.

فلو كان الأستاذ النورسي على نقيض وعداء مع الصوفية ما استدل بأقوال رائد الطريقة النقشبندية ومدح سلوكيات الطريقة من جهة ومعتقدها من جهة أخرى، بل الطاهر ما أثر عنه أنه كان خلقه التصوف وشعاره الزهد وهذا تشهد عليه كتاباته.

خاتمة

الأستاذ النورسي يعترف أنه ليس صوفيا و أنه لا يتبع لأي طريقة صوفية، رغم أنه استفاد من الطرق الصوفية وكان بإمكانه أن يدرس هذه الطرق للأخرين لكنه رأى أن إنقاذ الإيمان أهم واجب في هذا الزمان، لهذا جعل همه الأعظم هو إنقاذ الإيمان وفرغ وقته لتبين حقائق القرآن و الإيمان بأسلوب يحقق الأية الكريمة {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء107]، بحيث يوصل رسالة القرآن والإيمان لجميع الناس، ويظهر أن القرآن الكريم شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نوره، فهو رحمه الله يهدف برسائله مخاطبة العالم أجمع وليس طائفة واحد من الناس كما هو الحال في التصوف الذي يخاطب طائفة من المنتسبين لطرقه.

إذن فالأستاذ النورسي ليس من الذين كان منهجهم التصوف بمعناه الحديث، ولا من الذين ينكرون التصوف، ولكن يدافع عن التصوف الحقيقي الذي لا شائبة فيه، ويحذر أهل الطرق الصوفيه من الوقوع في بعض الورطات التي من الممكن أن تكون في باطنها تنفر الناس عن الدين خصوصا في هذا الزمن.

إن النورسي كان يضع نفسه في المقام المناسب له باعتباره عالما من علماء الأمة، يتحمل مسؤوليه التوجيه والتقويم والحماية للشريعة، وباعتباره رجل دعوة تعتمد الحكمة وتتفادى توسيع دائرة الخصومة والشقاق، فلذلك كان ينطلق من اعتبار مؤسسات التصوف واقعا لا يمكن الاستهان بوجوده ولا يجدي التفرغ لمواجهته وإنما يتعين إصلاحه من الداخل وذلك بتصحيح أخطائه وتقويم مقولاته وآرائه المخالفة لمنطق الشريعة وبوضعه أخيرا في صف القوى الحامية للإسلام.

إن النورسي قد تعامل مع الطرق الصوفية الحاضرة بموضوعية وتجرد فكشف عن مشاركة بعضها في خدمة الإسلام من حيث قيامها بتأطير الناس دينيا ومن حيث قيامها بحماية وجود الإسلام وبمشاركتها في حركة الجهاد ضد الغزو النصراني ولكن هذا لا يلغي أن الطرق الصوفية قد لابستها أخطاء فكرية وسلوكية أضرّت بها وأبعدتها عن هدي الاسلام[32].

[32] مصطفى بنو حمزة، أهمية روحانية النورسي المتبصرة في عالم مادي متأزم، مجلة النور للدراسات الحضارية

الأستاذ النورسي كان ينبه كذلك إلى أن دخول بعض المدعين إلى طرق الصوفية وممن لا يتصفون بأخلاق هذه الطريقة قد يضروا بالطريقة أكثر من النفع بها، ويكونون سبب في تنفير الناس منها، وبالتالي يضرون بالتصوف الذي هو في حد ذاته منهج إصلاح للإنسان، وطريق لتقوية الحقائق الإيمانية والعقائد الإسلامية لأنهما منشأ السعادة الأبدية وأي تقصير فيهما يعني الشقاء الأبدي.

المصادر

أحمد محمد علي حنطور، نظرات في الأدب الصوفي عند النورسي، مجلة النور للدراسات الاسلامية والفكرية، 2013، العدد 7.

أورخان محمد علي، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، (إسطنبول: مطبعة سوزلر، د.ت،ط).

بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (إسطنبول: شركة النسل للطباعة، 1993).

بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (إسطنبول: شركة سوزلر للطباعة، 1999.

بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (القاهرة: شركة سوزلر، 1999).

حسن الأمراني وآخرون، النورسي أديبا، ندوة سعيد النورسي أديبا بكلية الآداب أبن مسيك دار البيضاء، (إسطنبول: دار سوز، 2003).

سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (إسطنبول: مطبعة سوزلر ، 2011).

سعيد النورسي، كليات رسائل النور سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (إسطننبول: مطبعة سوزلر، 1998).

شهاب الدين أبي حفصة عمر بن محمد السهروردي، عوارف المعارف، تح نجاح عوض صيام، (القاهرة: دار المقطم للنشر والتوزيع 2009).

عبد الرزاق الغول، بديع الزمان سعيد النورسي والتصوف، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، (إسطنبول: مطبعة نسل، 2013)، العدد 7.

محمد توفيق رمضان، التصوف وأثره في شخصية سعيد النورسي وكتاباته، مجلة التسامح، 2006 العدد 15.

محمد سعيد رمضان البوطي، حلقة دراسية حول الإدراك الروحي بين التصوف والنورسي، الوهج الروحاني في حياة الأستاذ النورسي، (إسطنبول: شركة نسل للطباعة، 2006).

والفكرية، (إسطنبول: مطبعة نسل، 2013)، العدد 7، 151.

مصطفى بنو حمزة، أهمية روحانية النورسي المتبصرة في عالم مادي متأزم، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، (إسطنبول: مطبعة نسل، 2013)، العدد 7.

.